السلف وكثرة الصدقات حال صيامهم

وأما هديهم في الصدقات فقد عرف عنهم -رضي الله عنهم- أنهم كانوا يؤثرون على أنفسهم كما مدحهم الله، مدح الله تعالى الصحابة بقوله تعالى: { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } ونزلت هذه الآية في أحد الصحابة؛ في صحابي يقال له: أبو طلحة في قصته لما أنه أخذ ضيف النبي -صلى الله عليه وسلم- ليعشيه، فقال لامرأته: هل عندك من طعام؟ فقالت: ما عندي إلا عشاء صبيتي؛ فقال: نوِّميهم إذا طلبوا الطعام، ثم إذا جاء ضيفنا وبدأ يطعم فأطفئي السراج وأوهميه أنا نأكل. فقدموا إليه عشاءهم وعشاء صبيتهم، ثم أصبحوا وقد نزلت هذه الآية: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } ولا شك أن هذا من الإيثار بما كانوا يجدونه، وقد عمل بذلك أيضا خلق كثير. وفي الإيثار في هذا الشهر ذكر ابن رجب أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- إذا صام لا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله لم يتعش تلك الليلة، إذا منعوه أن يفطر مع المساكين. وكذلك ذُكر أنه طرق بابه مرة سائل فأخذ حظه من العشاء، وذهب به إلى السائل، وأعطاه السائل، ورجع إلى أهله وقد أكلوا بقية العشاء، فبات طاويا وأصبح صائما. وكان كثير منهم يصومون تطوعا ويخفون صيامهم، فكان أحدهم إذا خرج إلى محل عمله ..حرفته أو نحوها خرج معه برغيفين، فأهله يعتقدون أنه أكلهما فيتصدق بهما، وأهل السوق يعتقدون أنه قد أكل في بيته، فيمسك نهاره ولا يشعر أحد أنه صائم، مخافة أن يفتخر بصيامه، أو أن يتمدح به. وهكذا أيضا ذكر ابن رجب أن كثيرا من السلف كانوا يطعمون إخوانهم الحلوى وأنواع المأكولات الشهية وهم صيام، وكان أحدهم يقدم لتلامذته الطعام ويقف يُروِّحهم وهو صائم، وهم يأكلون، يروحهم يعني: يستعمل المروحة اليدوية عليهم، حتى لا يحسوا بحر في شدة الحر ونحوه، وكثير منهم إذا طرق الباب سائل وقال: من يقرض الولي الغني؟ يقول: عبده المعدم من الحسنات. فإذا خرج وأعطاه ما عنده بات طاويا. هكذا كانت حالتهم في أنهم يتصدقون بما يقدرون عليه، يقول ابن رجب -رحمه الله- بعدما ساق هذه الأمثلة: سلام الله على تلك الأرواح، رحمة الله على تلك الأشباح، ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل يمثل أن أهل زمانه بالنسبة إلى أولئك السلف رحمهم الله تعالى مثل من نزل بوسط مكة وبين بني هاشم، ومن نزل في البيداء أي: في المكان البعيد، البيداء التي تبعد عن مكة نحو ثلاثمائة كيلو أو مائتين؛ تلك البيداء، واستشهد أيضا مرة بقول الشاعر: لا تعرضن بذكرنا عن ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد أي: لا تعرض بذكرنا عندهم فإننا لن ندركهم، هذا وهو في زمن ليس مثل زماننا، زماننا قد اشتدت فيه غربة الإسلام، وقل فيه من يقتدي بأولئك السلف الأعلام. ولكن بكل حال لا نعدم -إن شاء الله- من يقتدي بقدر جهده بما أعطاه الله تعالى بأولئك السلف الصالح، سواء في أعمالهم المفروضة أو المستحبة أو ما أشبهها.